الفصل الأول
عرض المرحلة الثانية من غزوة أُحُد (المعركة)
المبحث الأول
التعبئة العامة للجيشين

المعسكر النبوي في أُحد:

«مضى رسول الله ﷺ بالجيش حتى قطع وادي قناة، وحتى إذا ما وصل إلى فم الشِّعب من أُحد (وهو المطل على وادي قناة الذي رابط فيه المشركون) عسكر بجيشه مستقبلًا المدينة وجاعلًا ظهره إلى هضاب جبل أُحد.

وعلى هذا أصبح جيش العدو فاصلًا بين جيش المسلمين وبين المدينة التي لم يبق فيها من الرجال إلا المنافقون واليهود، والعاجزون عن القتال من المسلمين، وإلا النساء والصبيان تقريبًا».

[غزوة أُحد لباشميل ٨٠-٨١].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: «وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ صَلَّى الْجُمُعَةَ، فَأَصْبَحَ بِالشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ، فَالْتَقَوْا يَوْمَ السَّبْتِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ». [مجمع الزوائد ٦/ ١٨٢ كتاب المغازي والسير (١٠١٢٤)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٣/ ١٤١ رقم ٢٩٢٩]، ورجاله ثقات].

التعبئة للقتال وخطبة الرسول ﷺ:

قام النبي ﷺ بتعبئة جنوده وهيأهم صفوفًا للقتال، ثم ألقى فيهم كلمة حثهم فيها على الجهاد، فقال لهم في هذه الكلمة: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أُوصِيكُمْ بِمَا أَوْصَانِي اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّنَاهِي عَنْ مَحَارِمِهِ، ثُمَّ إِنَّكُمْ الْيَوْمَ بِمَنْزِلِ أَجْرٍ وَذُخْرٍ لِمَنْ ذَكَرَ الَّذِي عَلَيْهِ، ثُمَّ وَطَّنَ نَفْسَهُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، وَالْجِدِّ وَالنَّشَاطِ، فَإِنَّ جِهَادَ الْعَدُوِّ شَدِيدٌ، شَدِيدٌ كَرْبُهُ، قَلِيلٌ مَنْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ عَزَمَ اللهُ رُشْدَهُ، فَإِنَّ اللهَ مَعَ مَنْ أَطَاعَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ عَصَاهُ، فَافْتَتِحُوا أَعْمَالَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ، وَالتَمِسُوا بِذَلِكَ مَا وَعَدَكُمْ اللهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، فَإِنِّي حَرِيصٌ عَلَى رُشْدِكُمْ، فَإِنَّ الاخْتِلافَ وَالتَّنَازُعَ وَالتَّثْبِيطَ مِنْ أَمْرِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ مِمَّا لا يُحِبُّ اللهُ، وَلا يُعْطِي عَلَيْهِ النَّصْرَ وَلا الظَّفَرَ.**

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، جُدِّدَ فِي صَدْرِي أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى حَرَامٍ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَمَنْ رَغِبَ لَهُ عَنْهُ غَفَرَ اللهُ ذَنْبَهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلائِكَتُهُ عَشْرًا، وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ أَوْ آجِلِ آخِرَتِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا صَبِيًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ مَرِيضًا أَوْ عَبْدًا مَمْلُوكًا، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنْهَا اسْتَغْنَى اللهُ عَنْهُ، وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ.

مَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ.

وَإِنَّهُ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي الرُّوحُ الأَمِينُ، أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِي أَقْصَى رِزْقِهَا، لا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ وَأَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَلا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاؤُهُ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّهُ لا يُقْدَرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ.

قَدْ بَيَّنَ لَكُمُ الحَلالَ وَالحَرَامَ غَيْرَ أَنَّ بَيْنَهُمَا شَبَهًا مِنَ الأَمْرِ لَمْ يَعْلَمْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ، فَمَنْ تَرَكَهَا حَفِظَ عِرْضَهُ وَدِينَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِيهَا كَانَ كَالرَّاعِي إِلَى جَنْبِ الحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَلَيْسَ مَلِكٌ إِلَّا وَلَهُ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ.

وَالمُؤْمِنُ مِنَ المُؤْمِنِينَ كَالرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى عَلَيْهِ سَائِرُ الجَسَدِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢١-٢٢٣].

مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟:

وبعد أن أتم الرسول ﷺ تعبئة جنده، جرَّد سيفًا باترًا، ثم عرض السيف على أصحابه ونادى فيهم ليبعث التنافس الشريف لإظهار البطولة.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**»، فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**»، قَالَ: فَأَحْجَمَ القَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، أَبُو دُجَانَةَ ﷺ: **أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ**، قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المُشْرِكِينَ(أي شق رؤوسهم).

[مسلم في فضائل الصحابة ﷺ (٢٤٧٠)].

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ قَالَ: عَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، فَقَالَ: **أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بِحَقِّهِ، فَمَا حَقُّهُ؟** قَالَ: «**أَنْ لَا تَقْتُلَ بِهِ مُسْلِمًا وَلَا تَفِرَّ بِهِ عَنْ كَافِرٍ**»، قَالَ: فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ [فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ]، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ.

قَالَ: [وَخَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ] قُلْتُ: **لَأَنْظُرَنَّ إِلَيْهِ الْيَوْمَ كَيْفَ يَصْنَعُ؟** قَالَ: **فَجَعَلَ لَا يَرْتَفِعُ لَهُ شَيْءٌ** [**لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ**] **إِلَّا هَتَكَهُ وَأَفْرَاهُ**، حَتَّى انْتَهَى إِلَى نِسْوَةٍ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ مَعَهُنَّ دُفُوفٌ لَهُنَّ فِيهِنَّ امْرَأَةٌ [وَمَعَهُمْ هِنْدُ]، وَهِيَ تَقُولُ:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَـلَى الـنَّمَارِقْ (١)
إِنْ تُقْبِلُـوا نُعَـانِقْ وَنَبْسُـطِ الـنَّمَارِقْ (٢)
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَـارِقْ فِـرَاقَ غَـيْرِ وَامِـقْ (٣)

قَالَ: فَأَهْوَى بِالسَّيْفِ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَضْرِبَهَا [فَحَمَلَ عَلَيْهَا فَنَادَتْ: يَا آلَ صَخْرٍ، فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ]، ثُمَّ كَفَّ عَنْهَا [فَانْصَرَفَ]، فَلَمَّا انْكَشَفَ لَهُ الْقِتَالُ، قُلْتُ لَهُ: **كُلُّ عَمَلِكَ [صَنِيعِكَ] قَدْ رَأَيْتُ [رَأَيْتُهُ فَأَعْجَبَنِي]، مَا خَلَا رَفْعَكَ السَّيْفَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَمْ تَضْرِبْهَا [غَيْرَ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلِ الْمَرْأَةَ]**، قَالَ: **[إِنَّهَا نَادَتْ فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ]، إِنِّي وَاللهِ أَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ أَقْتُلَ بِهِ امْرَأَةً [فَكَرِهْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ امْرَأَةً لَا نَاصِرَ لَـهَا]**. [المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٥٦ رقم ٥٠١٩، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ومجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٦ رقم ١٠٠٦٩، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار = البحر الزخار ٣/ ١٩٣ رقم ٩٧٩]، ورجاله ثقات].

وفي رواية قال ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «**يَضْرِبُ بِهِ الْعَدُوَّ [حَتَّى يَنْحَنِي]**»، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: أَنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ عَرَضَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ الشَّرْطِ، فَقَامَ الزُّبَيْرُ ﷺ فَقَالَ: أَنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى وَجَدَ عُمَرُ وَالزُّبَيْرُ فِي أَنْفُسِهِمَا، ثُمَّ عَرَضَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ ﷺ: **أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ آخُذُهُ بِحَقِّهِ**، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَدَقَ بِهِ حِينَ لَقِيَ العَدُوَّ وَأَعْطَى السَّيْفَ حَقَّهُ، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: ـ إِمَّا عُمَرُ، وَإِمَّا الزُّبَيْرُ ـ وَاللهِ لَأَجْعَلَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ شَأْنِي، الذِي أَعْطَاهُ النَّبِيُّ السَّيْفَ وَمَنَعَنِيهِ، قَالَ: فَاتَّبَعْتُهُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَاتَلَ أَفْضَلَ مِنْ قِتَالِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَضْرِبُ بِهِ حَتَّى إِذَا كَلَّ عَلَيْهِ، وَخَافَ أَلا يَحِيكَ (لا يؤثِّر) عَمَدَ بِهِ إِلَى الحِجَارَةِ فَشَحَذَهُ، ثُمَّ يَضْرِبُ بِهِ فِي العَدُوِّ حَتَّى رَدَّهُ كَأَنَّهُ مِنْجَلٌ، وَكَانَ حِينَ أَعْطَاهُ السَّيْفَ مَشَى بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ يَمْشِي تِلْكَ المِشْيَةَ: «**إِنَّ هَذِهِ لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ**».

وَكَانَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُعْلِمُونَ فِي الزُّحُوفِ أَحَدُهُمْ أَبُو دُجَانَةَ ﷺ، كَانَ يُعَصِّبُ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِذَا اعْتَصَبَ بِهَا أَحْسَنَ القِتَالَ، وَكَانَ عَلِيٌّ ﷺ يُعْلِمُ بِصُوفَةٍ بَيْضَاءَ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ ﷺ يُعْلِمُ بِعِصَابَةٍ صَفْرَاءَ، وَكَانَ حَمْزَةُ ﷺ يُعْلِمُ بِرِيْشِ نَعَامَةٍ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٥٨-٢٥٩، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٦-٦٧].

---

(١) **طارق**: نجم الصبح، وقولها في البيت تعني أن أبانا في الشرف كالنجم المضيء. قاله الجوهري. وقال الواقدي: عنت أنها من المخدرات اللاتي لا يبرزن إلا ليلًا كالنجم. **النمارق**: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة.

(٢) جعل البزار الشطر الأول هو الثاني، وجعل الأول بلفظ: «**وَالْمِسْكُ فِي المَفَارِقْ**».

(٣) **الوامق**: المحب.

«كان لموقف الرسول ﷺ وتحريضه على القتال وإلهاب حماس المجاهدين أثره في نفوسهم حتى جعلهم يتسابقون كي يمسك كل واحد منهم بالسيف يريد أخذه بحقه، وإن موقفًا مثل هذا يثير الإعجاب ويطمئن النفس ويبعث في النفوس الأمل في نصر الله ﷻ». [دور الحرب النفسية للسيد٦٦].

كتيبة الرماة في الجبل:

وأثناء التعبئة ـ وكجزء من الخطة النبوية الحكيمة ـ اختار ﷺ خمسين من رماة النبل الماهرين في الرماية وأوكل إليهم ـ بقيادة آمر مسؤول هو عبد الله بن جبير ﷺ ـ مهمة المرابطة في جبل عَيْنَيْنِ، وهو المسمى اليوم بجبل الرماة.

ويقع هذا الجبل الصغير جنوب غرب معسكر المسلمين، على ضفة الوادي الجنوبية، وعلى بعد حوالي مائة وخمسين مترًا من مقر قيادة الجيش الإسلامي.

وقد كان هدف الرسول القائد ﷺ من وضع فصيلة رماة النبل ـ التي هي في ذلك العصر بمثابة المدفعية في عصرنا هذا ـ، كان هدفه من تمركز هذه الفصيلة في الجبل، هو حماية جيش المسلمين من خطر الالتفاف أو ضرب المسلمين من الخلف وخاصة ساعة احتدام المعركة». [غزوة أُحد لباشميل ٨٢-٨٤].

انْضَحُوا الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ:

فقد كان النبي ﷺ يعلم أن لدى المشركين قوة كبيرة من الفرسان لا يُستهان بها، لا تقل عن مائتي فارس يقودها بطل مقدام هو خالد بن الوليد.

وكتيبة الفرسان هذه، هي وحدها التي يمكن للمشركين استخدامها للقيام بحركات الالتفاف لضرب المسلمين من الخلف عندما تضطرهم ظروف المعركة إلى ذلك.

ولذلك كانت خيل خالد بن الوليد تتمركز حول جبل الرماة بصفة خاصة؛ لأن ناحية هذا الجبل هو الاتجاه القوي الوحيد الذي يمكن لخيل المشركين من ناحيته استخدامها لضرب مؤخرة المسلمين عند احتدام المعركة، أو لمحاولة التسلل إلى ما وراء صفوف المسلمين قبل نشوب المعركة.

لذلك حرص الرسول ﷺ أشد الحرص على احتلال ذلك الجبل، ووضع فصيلة الرماة فيه، الذين أكد عليهم أن يراقبوا ـ بشدة ـ خيالة المشركين، وقال لهم: «**انْضَحُوا الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا**».

والذي يتيسر له رؤية مكان المعركة والاطلاع على موقع جبل الرماة الذي لا يزال جاثمًا على ضفة وادي قناة، يدرك مدى الخبرة العسكرية العظيمة التي يمتاز بها النبي ﷺ الأعظم في وضع خطط المعارك، والمهارة الواسعة في تنظيم القوى العسكرية، واختيار المواقع التعبوية الممتازة لكسب المعركة.

وعندما توجهت فصيلة الرماة لاحتلال الجبل ـ بأمر القائد الرسول ﷺ ـ أصدر إليهم الأوامر المشددة بألا يتركوا مواقعهم في الجبل مهما كانت الظروف والتطورات، إلا بأمر خاص منه ﷺ.

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله ﷺ، وَقَالَ: «**لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا**»، فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: **الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ**، فَقَالَ عَبْدُ الله ﷺ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلاً...». [البخاري في المغازي (٤٠٤٣)].

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ يُحَدِّثُ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ ـ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا ـ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ** (هو مثل يراد به الهزيمة)، **فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ [ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ]، وَأَوْطَأْنَاهُمْ** (أي: غلبناهم وقهرناهم)، **فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَالله رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ (الاشتداد: العدو، أو السرعة في المشي) [عَلَى الْجَبَلِ]، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ (جمع ساق)، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ.

فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ: **الْغَنِيمَةَ، أَيْ قَوْمِ، الْغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ [تَنْظُرُونَ]؟**، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ ﷺ: **أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ الله ﷺ؟** قَالُوا: [**إِنَّا**] **وَالله لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ**، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ (أي تحيروا، فلم يدروا أين يتوجهون)، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ [فَذَلِكَ] إِذْ [الَّذِي] يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ [رَسُولِ الله] ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ [رَجُلًا]، وَكَانَ النَّبِيُّ [رَسُولِ الله] ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً: سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا...».

[البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٢)، ومسند أحمد ٣٠/ ٥٥٤-٥٥٥ رقم ١٨٥٩٣].

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ ﷺ، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً: سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ** (١). [البخاري في المغازي (٣٩٨٦)].

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ ﷺ، وَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً.

[البخاري في التفسير (٤٥٦١)، وفي المغازي (٤٠٦٧)].

---

(١) «**سجال**: .. أي: نوب، والسجل: الدلو .. فكأنه شبه المتحاربين بالمستقيين، يستقي هذا دلوًا، وهذا دلوًا». فتح الباري ١/ ٣٦. أي: مرة لهؤلاء، ومرة لهؤلاء.

وعَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ أَنَّهُ قَالَ: مَا نُصِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوْطِنٍ كَمَا نُصِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄: بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ الله ﷻ، إِنَّ الله ﷻ يَقُولُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄: وَالْحِسُّ الْقَتْلُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ قَالَ: «**احْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلَا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا، فَلَا تَشْرَكُونَا**»... [مسند أحمد ٤/ ٣٦٨-٣٦٨٩ رقم ٢٦٠٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٤ كتاب تفسير القرآن رقم ٣١٦٣، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٠١ رقم ١٠٧٣١، والمغازي للواقدي ١/ ٢٩٦-٢٩٧].

وفي رواية للواقدي: «**احْمُوا لَنَا ظُهُورَنَا، فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ نُؤْتَى مِنْ وَرَائِنَا، وَالزَمُوا مَكَانَكُمْ لا تَبْرَحُوا مِنْهُ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نَهْزِمُهُمْ حَتَّى نَدْخُلَ عَسْكَرَهُمْ فَلا تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلا تُعِينُونَا وَلا تَدْفَعُوا عَنَّا، اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ! وَارْشُقُوا خَيْلَهُمْ بِالنَّبْلِ، فَإِنَّ الخَيْلَ لا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٤].

وليتأكد الرماة من جسامة المسؤولية الحربية الملقاة على عاتقهم، رأينا في الأمر العسكري المشدد من الرسول ﷺ قوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ!**».

كما أنه ﷺ قال لهم أيضًا ومخاطبًا قائدهم المسؤول: «**انْضَحِ الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلَكَ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٥].

تهيؤ المسلمين للمعركة:

وبعد أن اطمأن الرسول ﷺ إلى وضع فصيلة الرماة التي تمركزت في الجبل أخذ يهيئ الصفوف ويوزع المسؤوليات على القادة.

لقد كان الوضع دقيقًا جدًّا بالنسبة للمسلمين، فقد كان التفاوت في العَدد والعُدد وجَودة التسلح بين الفريقين كبيرًا جدًّا.

فقد كانت النسبة في العدد، كل مسلم مقابل أربعة من المشركين على الأقل، كما أن المشركين يمتاز جيشهم بكتيبة سلاح الفرسان التي تتألف من مائتي فارس، في حين أن جيش الإسلام ليس فيه من هذا السلاح سوى فرس واحد فقط.

يضاف إلى هذا أن أكثر رجال الجيش الإسلامي من الحاسرين، إذ لا يوجد بينهم سوى مائة من لابسي الدروع.

بينما يوجد في جيش مكة من لابسي الدروع سبعمائة مقاتل، وهو عدد يوازي جيش المدينة بأكمله.

فكل هذا التفاوت يستوجب الاهتمام والملاحظة والدقة والتركيز في وضع الخطط واختيار الأكفاء من الشجعان ليكونوا في مقدمة الصفوف لمواجهة الموقف والثبات عند الصدمة الأولى.

ولقد نجح الرسول ﷺ في التعويض عن النقص العددي في رجاله، باختياره نخبة ممتازة من رجالات المسلمين المشهورين بالنجدة والبسالة، والذين يوزنون بالآلاف، وجعلهم في مقدمة الصفوف؛ ليكونوا طليعة جيشه حين تلتحم الجموع.

وفي مقدمة هؤلاء حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وأبو بكر الصديق ومصعب بن عمير وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع، وأبو دجانة وأنس بن النضر ﭫ، وأمثالهم من أهل النجدة والبأس واليقين.

وقد أوكل ﷺ إلى كتيبة من الجيش بقيادة الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود ﭫ مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد لمساندة الرماة لصد أي هجوم يقوم به الفرسان في أول المعركة».

[غزوة أُحد لباشميل ٨٦-٨٨].

صاحب لواء المسلمين والوفاء المحمدي:

«وَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ يُسَوِّي تِلْكَ الصُّفُوفَ وَيُبَوِّئُ أَصْحَابَهُ لِلقِتَالِ، يَقُولُ: «**تَقَدَّمْ يَا فُلانٌ، وَتَأَخَّرْ يَا فُلانٌ**»، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرَى مَنْكِبَ الرَّجُلِ خَارِجًا فَيُؤَخِّرُهُ، فَهُوَ يُقَوِّمُهُمْ كَأَنَّمَا يُقَوِّمُ بِهِمْ القِدَاحَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ الصُّفُوفُ سَأَلَ: «**مَنْ يَحْمِلُ لِوَاءَ الْمُشْرِكِينَ؟**» قِيلَ: بَنُو عَبْدِ الدَّارِ، قَالَ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ مِنْهُمْ، أَيْنَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ؟**» قَالَ: هَا أَنَا ذَا، قَالَ: «**خُذِ اللِّوَاءَ**»، فَأَخَذَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﭫ، فَتَقَدَّمَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ». **[المغازي للواقدي ١/ ٢٢١].**

وكان ﷺ قد أسند اللواء حين خروجه إلى علي بن أبي طالب ﭫ كما سبق بيانه.

كيف عبأت قريش جيشها؟:

قال الواقدي: «وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ صَفُّوا صُفُوفَهُمْ وَاسْتَعْمَلُوا عَلَى الـمَيْمَنَةِ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ، وَعَلَى المَيْسَرَةِ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، وَلَهُمْ مُجَنَّبَتَانِ مِائَتَا فَرَسٍ وَجَعَلُوا عَلَى الخَيْلِ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ـ وَيُقَالُ: عَمْرَو بْنَ العَاصِ ـ وَعَلَى الرُّمَاةِ عَبْدَ الله بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانُوا مِائَةَ رَامٍ، وَدَفَعُوا اللِّوَاءَ إِلَى طَلحَةَ بْنِ أَبِي طَلحَةَ ـ وَاسْمُ أَبِي طَلحَةَ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ العُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٠].

تهيؤ المشركين للمعركة:

«قام المشركون بتعبئة جيشهم في بطن وادي قناة، وهو المكان الذي أُجبروا على قبول المعركة فيه، وكان مكانًا منخفضًا بالنسبة لجيش المسلمين الذي احتل المرتفع من الشِّعب وعبأ صفوفه فيه.

وكانت تعبئة جيش مكة هذه المرة، حسب نظام الصفوف، وكانت هذه أول مرة يقاتل فيها المكيون صفوفًا حيث كانوا دائمًا في حروبهم يقاتلون على طريقة الهنود الحمر وهي طريقة الكر والفر.

وهي الطريقة التي قاتلوا بها المسلمين يوم بدر، وفاجأهم النبي ﷺ في ذلك اليوم بقتال الصفوف الذي لم يعهدوه، والذي كان أحد الأسباب التي أدت إلى هزيمتهم في ذلك اليوم.

ويظهر أن المشركين أخذوا دروسًا في معركة بدر في نظام الصفوف عن المسلمين ثم طبقوه يوم أُحد».

[غزوة أُحد لباشميل ٨٩].

القائد العام لجيش مكة:

«كما أن المشركين ـ أيضًا ـ قد انتخبوا هذه المرة لجيشهم قائدًا عامًّا مسؤولًا، هو أبو سفيان صخر بن حرب الأموي، وهو ما لم يفعلوه في معركة بدر، حيث قاتل جيشهم دون أن تكون له قيادة موحدة، بل كانت القيادة متنازعًا عليها بين الزعماء.

وقد أعطى المشركون لواءهم إلى مفرزة، كلها من قبيلة بني عبد الدار القرشية، وقد وقفت هذه المفرزة بقيادة طلحة بن أبي طلحة العبدري في مقدمة الصفوف.

وقد كان النظام القبلي المجمع عليه والمتبع في الحروب بين قبائل قريش أن يكون حملة اللواء دائمًا من بني عبد الدار، كما تكون قيادة الجيوش في بني أمية، وقيادة الخيل خاصة في بني مخزوم».

[غزوة أُحد لباشميل ٩٠].

أبو سفيان يحرِّض حملة اللواء [(١)]:

«وَصَاحَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَئِذٍ: **يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّكُمْ أَحَقُّ بِاللِّوَاءِ مِنَّا، إِنَّا إِنَّمَا أُوتِينَا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ اللِّوَاءِ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى القَوْمُ مِنْ قِبَلِ لِوَائِهِمْ، فَالزَمُوا لِوَاءَكُمْ، وَحَافِظُوا عَلَيْهِ، وَخَلُّوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّا قَوْمٌ مُسْتَمِيتُونَ مَوْتُورُونَ نَطْلُبُ ثَأْرًا حَدِيثَ العَهْدِ.**

وَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: **إِذَا زَالَتْ الأَلْوِيَةُ فَمَا قِوَامُ النَّاسِ وَبَقَاؤُهُمْ بَعْدَهَا.**

فَغَضِبَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ، وَقَالُوا: **نَحْنُ نُسَلِّمُ لِوَاءَنَا؟ لا كَانَ هَذَا أَبَدًا، فَأَمَّا الْحَافَظَةُ عَلَيْهِ فَسَتَرَى.**

ثُمَّ أَسْنَدُوا الرِّمَاحَ إِلَيْهِ وَأَحْدَقَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ بِاللِّوَاءِ وَأَغْلَظُوا لأَبِي سُفْيَانَ بَعْضَ الإِغْلاظِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَنَجْعَلُ لِوَاءً آخَرَ؟ قَالُوا: نَعَمْ وَلا يَحْمِلُهُ إِلا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ لا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَبَدًا».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢١، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٧].

---

(١) **حامل اللواء**: منصب عسكري معترف به عند العرب في الجاهلية والإسلام كما أنه منصب معروف في الجيوش القديمة، كالجيش اليوناني والجيش الفارسي والجيش الروماني، وكانت قريش في الجاهلية عشرة بطون لكل بطن منها واجب، وكان حمل اللواء في بني عبد الدار.

المنازعات السياسية قبل المعركة:

وقبل نشوب المعركة، وبالرغم من تفوق قريش في كل شيء مادي على المسلمين، فإن الخوف من المسلمين ظل مسيطرًا على نفوس قادة قريش.

لأنهم عرفوا ـ عن تجربة ـ ضراوة المسلمين في القتال، وأن النقص العددي الذي يصاحب المسلمين عادة في جميع معاركهم، تحل محله دائمًا القوة المعنوية العارمة، والتنظيم الدقيق واتحاد الكلمة الذي منشؤه وحدة العقيدة الصادقة التي يمتاز بها المسلمون الذين يرتبطون بقائد محنك فذ لا يقول إلا حقًّا ولا ينطق إلا بصواب.

ولهذا قامت قريش قبيل المعركة بقليل بمناورتين سياسيتين خبيثتين، قصدت بهما إحداث الفُرقة بين المسلمين وإشاعة النزاع داخل صفوفهم. [غزوة أُحد لباشميل ٩١-٩٢].

فقد أرسل أبو سفيان إلى الأنصار خاصة طالبًا منهم التخلي عن رسول الله ﷺ، وأبلغهم بأنه لم يأت لقتالهم، وإنما جاء (فقط) لقتال قومه من قريش قائلًا: «**يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّنَا** (يعني النبي ﷺ) **نَنْصَرِفْ عَنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا بِقِتَالِكُمْ**»، **فَرَدُّوهُ بِمَا يَكْرَهُ**».

[تاريخ الطبري ٢/ ٥١١].

لقد كان رد الأنصار رضي الله عنهم عليه ردًّا عنيفًا، ورفضوا عرضه، بعد أن أسمعوه ما يكره.

أبو عامر الفاسق الخائن:

ولما فشل أبو سفيان في محاولته هذه لجأت قريش إلى محاولة أخرى، قام بها هذه المرة عميل خائن من أهل المدينة، وهو أبو عامر الراهب (عبد عمرو بن صيفي الأوسي).

فقد بعثت قريش قبيل نشوب المعركة بهذا الخائن لاستمالة قومه الأوس من الأنصار ليتركوا النبي ﷺ وينحازوا إلى جانب المشركين.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ أَبَا عَامِرٍ عَبْدَ عَمْرِو بْنِ صَيْفِيِّ بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّعْمَانِ أَحَدَ بَنِي ضُبَيْعَةَ، وَقَدْ كَانَ خَرَجَ حِينَ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُبَاعِدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَهُ خَمْسُونَ غُلَامًا مِنْ الأَوْسِ، وَبَعْضُ النَّاسِ كَانَ يَقُولُ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَكَانَ يَعِدُ قُرَيْشًا أَنْ لَوْ قَدْ لَقِيَ قَوْمَهُ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ أَبُو عَامِرٍ فِي الأَحَابِيشِ وَعُبْدَانُ أَهْلِ مَكَّةَ، فَنَادَى: **يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ، أَنَا أَبُو عَامِرٍ**، قَالُوا: **فَلَا أَنْعَمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ** ـ وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ يُسَمَّى فِي الجَاهِلِيَّةِ الرَّاهِبَ فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الفَاسِقَ ـ فَلَمَّا سَمِعَ رَدَّهُمْ عَلَيْهِ قَالَ: **لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ**، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ رَاضَخَهُمْ بِالحِجَارَةِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٧، وسنده حسن ورجاله ثقات، وصرح ابن إسحاق بالتحديث والحديث مرسل. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢١٣].

مجهود نساء قريش في المعركة:

وكان نصيب نساء قادة قريش اللواتي خرجن مع الجيش، كان نصيبهن من المشاركة في المعركة إثارة حفائظ الأبطال وتهييج عواطف الفرسان، وتحريك مشاعر المقاتلين وإشاعة روح الأخذ بالثأر وإذكاء نيران الانتقام من المسلمين، وتذكير القرشيين بما أصاب أهل مكة يوم بدر على أيدي المسلمين.

وكان أشد هؤلاء النسوة تحريضًا على المسلمين هند بنت عتبة التي قَتل المسلمون يوم بدر أباها عتبة وأخاها الوليد وعمها شيبة وابنها حنظلة.

فقد خرجت هذه المرأة العنيدة مع زوجها القائد العام أبي سفيان بن حرب؛ لتشهد بنفسها معركة الانتقام لعلها تشفي غليلها من المسلمين.

ولقد بذل هؤلاء النسوة مجهودًا كبيرًا لرفع معنويات الجيش القرشي وإثارة روح الثبات والتضحية في نفوسهم، فقد انتشرن بين صفوف المحاربين المتأهبين للقتال، وهن ينشدن الأشعار الحماسية المحرضة على الانتقام من المسلمين والثبات ضدهم في المعركة». [غزوة أُحد لباشميل ٩٤].

ويهًا بني عبد الدار:

وقد كان تحريضهن موجهًا ـ بصفة خاصة ـ إلى حَملة اللواء من بني عبد الدار؛ لعلمهن أن مصير جيش مكة في الدرجة الأولى مرتبط بمصير هؤلاء؛ لأنهم يحملون راية الجيش، وفي ذلك العصر لا تأتي هزيمة الجيش إلا من قِبل حاملي رايته إن هم انهزموا، أو قُتلوا.

وهذا هو الذي جعل القائد العام أبا سفيان يقول في كلمته لحاملي اللواء من بني عبد الدار ما قال.

برزت نساء قريش أمام حملة لواء مكة العبدريين وهن ينشدن الأشعار المحرضة الموجهة إليهم بصفة خاصة والتي منها:

وِيهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارْ وِيهًا حُمَاةَ الأَدْبَارْ (١)

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارْ (٢)

ثم أخذن يتجولن تارة في مقدمة الصفوف وتارة في مؤخرتها وفي أيديهن الدفوف يضربهن ويغنين باسم نساء الجيش كله، شعرًا يهددن الرجال فيه بالعزوف عنهم ومفارقتهم إن هم فروا من القتال، ويوعدونهم بأن كل امرأة ستبقى مع زوجها تسعده وتخدمه، إن هم ثبتوا ولم يفروا، ومن هذا الشعر قولهن: ورواية الواقدي للأبيات هكذا:

---

(١) **وِيهًا**: كلمة معناها الإغراء، حُمَاةَ الأَدْبَارْ: أي الذين يحمون أعقاب الناس.

(٢) سبقت رواية الأبيات من كتب السنة في عنوان «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**».

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ
فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ وَنَفْرِشُ النَّمَارِقْ (١)
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ (٢)

ولاشك أن تحريض نساء قريش كان له أثره الفعال في نفوس الجيش المكي، وخاصة حملة اللواء من بني عبد الدار الذين استبسلوا في المعركة، وثبتوا يدافعون عن اللواء حتى أبادهم المسلمون عن آخرهم». [غزوة أُحد لباشميل ٩٤-٩٥].

(١) **النمارق**: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة.

(٢) **الوامق**: المحب. ورواية الواقدي للأبيات هكذا:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ
فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ